

المواجهات ستظل مضبوطة ومددّة في حجمها وأهدافها حرب إسرائيلية - إيرانية في الأفق السوري... ولكن

مزيد من التوتر بين إيران وإسرائيل في سوريا في سياق مسار تصادمي، ومزيد من التدهور على الحدود السورية - الإسرائيلية التي شهدت تطورات عسكرية زادت خطورة الوضع. التدهور بدأ عندما قصفت إسرائيل قاعدة جوية إيرانية قرب دمشق تعرف باسم "تي فور"، وزاد حدة وسوءا عندما ردت إيران بقصف المنطقة الحدودية من الجولان

الاسرائيلي، فإن نحو 2000 من المستشارين والمقاتلين الإيرانيين يتركزون في سوريا، ونحو 7500 مقاتل من حزب الله، وحوالي 9 الاف من افراد الميليشيات من العراق وافغانستان وباكستان.

يرى السفير الأميركي السابق في سوريا روبرت فورد ان الحرب بين إسرائيل وإيران في سوريا باتت امرا لا مفر منه. لا يعرف احد متى - على وجه التحديد - ستنشب هذه الحرب. لكن الموقف الراهن بين إسرائيل وإيران يتغير ويختلف بوتيرة سريعة.

يضيف: "يساور الجانب الإسرائيلي القلق في شأن الهجمات الصاروخية الهائلة الآتية من سوريا ولبنان التي قد تغطي على الدفاعات الإسرائيلية المضادة للصواريخ. كما يساورهم قلق مماثل

للمرة الاولى منذ تفجر الحرب السورية، تقوم إيران برد عسكري مباشر ضد إسرائيل. وللمرة الاولى منذ عام 1973 يحدث هذا الخرق الكبير والنوعي لحال الهدوء وقواعد الاشتباك في هضبة الجولان.

في إسرائيل شبه اجماع على ضرب إيران في سوريا، وعدم السماح لها بتسيخ اقدامها مهما بلغ الثمن، كما قال وزير الدفاع افيغدور ليبرمان. للمرة الاولى منذ سنوات، اتخذ قادة جميع الأجهزة الامنية في إسرائيل موقفا مؤيدا للخطاب السياسي للحكومة في ما يتعلق بالنشاط الإيراني في سوريا، وابدوا في السابيع الاخيرة موقفا حازما ومتشددا وموحدا يرمي الى صد الوجود الإيراني ودفع طهران الى سحب قواتها، ومنع النفوذ الإيراني العسكري في سوريا بأي شكل. ووفقا لتقديرات الجيش



إسرائيل أدركت صعوبة استدراج الأميركيين الى الحرب.



روسيا تستفيد من المناوشات وتضرر من حرب تطيح انجازاتها.

ومراكز الجيش الاسرائيلي في الجولان من دون "التوغل" في العمق الاسرائيلي.

هكذا، فإن قواعد الاشتباك الجديدة تكون استقرت عند هذا الحد، وحيث ان الطرفين لا يمتلكان رغبة ومصصلحة في الذهاب الى الحرب:

- إسرائيل التي تعاني من هشاشة وعدم جهوز جبهتها الداخلية، تريد دفع إيران لا الى الحرب وانما الى التنازل عن مشروعها العسكري في سوريا والابتعاد من حدودها.

- وإيران التي تعاني من اوضاع داخلية اقتصادية صعبة، تريد عبر ردها لا استفزاز إسرائيل وجرحها الى الحرب، وانما اقامة قوة ردع في وجهها وتقيد حركتها واشعارها ان عملياتها الجوية في سوريا لن تكون نزهة ولن تمر من دون رد.

هكذا، فإن المباراة الأكبر حجما التي جرت منتصف الشهر الماضي بين إيران وإسرائيل في سوريا، تبدو نهاية جولة أكثر مما هي بداية حرب. الدولتان وصلت الى الخط الاحمر، واي تجاوز اضافي يمكن ان يؤدي الى السقوط في الهاوية وحرب لا يريدانها والى وضع خارج السيطرة.

لكن الالم من كل ذلك، ان الولايات المتحدة وروسيا تلعبان دورا اساسيا في منع الانزلاق الى الحرب التي لا يمكن ان تقع اذا لم تشاركا او لم تتورطا فيها.

واشنطن تمارس ضغوطا كبيرة على إيران: من جهة، ضغوط الانسحاب من الاتفاق النووي والعودة الى العقوبات لحملها على الدخول في مفاوضات حول اتفاق جديد. ومن جهة أخرى، ضغوط التلويح بمساندة إسرائيل في اي حرب مقبلة لردع إيران عن قصف إسرائيل والتسبب بحرب واسعة في المنطقة.

اما روسيا، فهي تمارس ضغوطا دبلوماسية على إيران وإسرائيل للتهدة والكف عن التفكير في حل الصراع بينهما في سوريا من طريق الحرب. في الواقع، ان موقف موسكو دقيق ويسوده الغموض البناء. واذا كان رئيس الوزراء الاسرائيلي بنيامين نتيناهو بعد لقائه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين قبل اسابيع اوحى بأن ليس هناك من ممانعة روسية لقيام إسرائيل بضرب اهداف إيرانية في سوريا، فإن إيران تبدو واثقة من روسيا وتحديث عن محاولات اميركية - اسرائيلية فاشلة للايقاع بين روسيا وإيران في سوريا.

”

إيران تريد تثبيت قواعد الاشتباك وتنفذ فخ الحرب الواسعة

“

المتضررة الاولى من حرب يمكن ان تقع بين هاتين الدولتين. في حال وقعت، فانها تنسف مجمل الوضع في سوريا وتعرض ما انجزته موسكو منذ ثلاث سنوات لخطر الضياع والتبدد.

يجد الاسرائيليون انفسهم في مواجهة معضلة جديدة، اذ كانوا يأملون في ان تتمكن روسيا من اقناع إيران بتقليص وجودها العسكري في سوريا، ثم الانسحاب تماما بعيدا من الحدود الاسرائيلية. لم يكن الجانب الروسي مستعدا او قادرا على ممارسة هذا القدر من الضغوط على طهران. بدلا من ذلك، يبدو ان روسيا متقبلة - ان لم تكن مرحبة - بحالة من المناوشات المحدودة بين إسرائيل وإيران داخل سوريا، حيث تزيد هذه المناوشات من النفوذ الروسي لدى كل من إسرائيل وإيران، ولكن الجانب الروسي لا يرغب في خروج هذه المناوشات عن السيطرة في اي حال من الاحوال.

في المحصلة، توصلت إسرائيل الى اقتناع بأن الرهان على دور روسي مانع للنفوذ الإيراني في سوريا هو رهان في غير محله، وان الروس يساعدون الإيرانيين على تثبيت وجودهم ويتصرفون من خلفية انهم غير معينين بأمن إسرائيل ومصالحها وبضرر وخطر إيران عليها. تدرك في المقابل ان موسكو غير مستعدة لكبح جموح إيران وطموحها في سوريا، وغير مستعدة ايضا للجم إسرائيل وثنيها عن توجيه ضربات وغارات ضد اهداف إيرانية، وهذا ما يتيح لها هامش تحرك عسكري جوي.

لكن الاقتناع الإسرائيلي الثاني الذي لا يقل اهمية، هو ان ادارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب لا تملك حتى الان استراتيجية واضحة ونهائية في سوريا،

وتبدو ميالة الى الانسحاب أكثر من التورط. لكن ثمة تقاطعات حاليا ضد إيران وحزب الله وغطاء اميركا لضربات من هذا النوع. في النتيجة، ادركت إسرائيل ان عليها ان تأخذ امورها وتؤمن مصالحها بيدها، وان لا تنتظر شيئا مهما من الولايات المتحدة او روسيا. شهر العسل مع الروس شارف على نهايته، واستدراج الأميركيين الى حرب واسعة في سوريا غير ممكن.

اجواء حرب في المنطقة، والحرب الباردة بين روسيا واميركا تضاف اليها حرب ساخنة بين إيران وإسرائيل في سوريا. لكن رغم كل المؤشرات والمظاهر التي توحى بقرب انفجار الوضع على نحو واسع، يمكن التأكيد او الترجيح بأن هذه المواجهات لن تتطور ولن تتدرج الى حرب شاملة، وانما ستظل مضبوطة ومحددة في حجمها واهدافها. تحت سقف مواجهة مفتوحة بين إيران وإسرائيل في سوريا ستكرر ايضا مواجهات مضبوطة ومحددة. واذا كانت إسرائيل لا توقف غاراتها وضربات في سياق خطة منع اقامة وجود عسكري إيراني دائم في سوريا، فإن إيران لن تقف مكتوفة الايدي وانما سترد كل مرة ردا موضعيا باستهداف خطوط